

تفسير ابن كثير

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ ^ج وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ^ج وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ^ج ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ^ط وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

يقول تعالى موطئا قبل المقصود المعنوي أمرا حسيا معروفا ، وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه ، ولا تصوير زوجته التي يظاهر منها بقوله : أنت علي كظهر أمي - أما له ، كذلك لا يصير الدعي ولدا للرجل إذا تبناه فدعاه ابنا له ، فقال : (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم) ، كقوله : (ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا) . [المجادلة : 3] . وقوله : (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) : هذا هو المقصود بالنفي ; فإنها نزلت في شأن زيد بن حارثة مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، كان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبناه قبل النبوة ، وكان يقال له : " زيد بن محمد " فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله : (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) كما قال في أثناء السورة : (

ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء
عليماً ([الأحزاب : 40] وقال هاهنا : (ذلكم قولكم بأفواهكم) يعني : تبنيكم لهم قول
لا يقتضي أن يكون ابناً حقيقياً ، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر ، فما يمكن أن يكون
له أبوان ، كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان . (والله يقول الحق وهو يهدي
السبيل) : قال سعيد بن جبير (يقول الحق) أي : العدل . وقال قتادة : (وهو يهدي
السبيل) أي : الصراط المستقيم . وقد ذكر غير واحد : أن هذه الآية نزلت في رجل من
قريش ، كان يقال له : " ذو القلبين " ، وأنه كان يزعم أن له قلبين ، كل منهما بعقل
وافر . فأنزل الله هذه الآية رداً عليه . هكذا روى العوفي عن ابن عباس . قاله مجاهد ،
وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، واختاره ابن جرير . وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ،
حدثنا زهير ، عن قابوس - يعني ابن أبي ظبيان - أن أباه حدثه قال : قلت لابن عباس :
أرأيت قول الله تعالى : (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) ، ما عني بذلك ؟ قال
: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً يصلي ، فخطر خطرة ، فقال المنافقون الذين
يصلون معه : ألا ترون له قلبين ، قلباً معكم وقلباً معهم ؟ فأنزل الله ، عز وجل : (ما جعل

اللّٰه لرجل من قلبين في جوفه) .وهكذا رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، عن صاعد الحراني - وعن عبد بن حميد ، عن أحمد بن يونس - كلاهما عن زهير ، وهو ابن معاوية ، به . ثم قال : وهذا حديث حسن . وكذا رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم من حديث زهير ، به . وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، في قوله : (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) قال : بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة ، ضرب له مثل ، يقول : ليس ابن رجل آخر ابنك . وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد : أنها نزلت في زيد بن حارثة . وهذا يوافق ما قدمناه من التفسير ، والله أعلم .